ضرورة الوقاية قبل استفحال داء التنصير (العلم والتربية)

د/ زبيدة بن ميسي
المدرسة العليا للأساتذة/ قسنطينة

تمهيد:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.[2]

لقد تعرض المسلمون إلى الكثير من الهجمات من اليهود والنصارى منذ بداية نشر الدعوة الإسلامية، وقد بين الله عز وجل مخاطرهما من خلال الآيتين الكريمتين وآيات قرآنية أخرى، ما يؤكد أن هجماتهم لن تتوقف، وبالفعل ما زال المسلمون يتعرضون إلى هجمات شرسة على جميع الأصعدة السياسية والإعلامية والفكرية

[1] البقرة: 120
[2] الأنفال: 36

والاقتصادية والعلمية، باستخدام مختلف الوسائل وان كانت جهرية وهو ما حدث أثناء الاستعمار، فإنها أصبحت مغطاة بأقنعة مختلفة ومتعددة، وهذا كله يصب في قالب التنصير والتبشير البعض يدرك مخاطرة ونتائجه السلبية والوخيمة على الأنا المسلمة والبعض الآخر غافل عنه.

إن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان أن التبشير استطاع أن يؤثر على الكثير من العقول وهذا لأنه وجد أرضية مهيأة له، ولهذا حتى نحد من زحف هذا الخطر ومعالجة هذا المرض الخطير الذي ينخر في جسم الأمة الإسلامية عموما، علينا أن نجد الدواء، ففيما يتمثل هذا الدواء؟ما هي الأساليب الوقائية التي تتحدى هذا المرض؟كيف يمكننا مواجهة التنصير وأخطاره؟

تعريف التنصير:

التنصير في مفهومه اللفظي اللغوي هو الدعوة إلى اعتناق النصرانية، أو إدخال غير النصارى في النصرانية.وفي لسان العرب: "والتنصُّر: الدخول في النصرانية، وفي المحكم: الدخول في النصري. ونصَّره: جعله نصرانيا..."[1]

أما اصطلاحا فهو حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعو .

أهداف ودوافع التنصير:

[1] ابن منظور: لسان العرب.، القاهرة: دار المعارف، د. ت. ،ص4440 .

من خلال الأعمال التي قام بها ويقوم بها المنصرون نستتج وجود علاقة بين التنصير والاستعمار ولهذا يمكن تحديد مجموعة من اهداف تريد الحركة التنصيرية تبليغها من خلال وجود مجموعة من الدوافع وهي: الدافع الديني، الدافع التجاري والاقتصادي، الدافع السياسي، والدافع العلمي، وبالرغم من تعدد الاهداف التي توجهها تنوع الدوافع الآن الهدف الرئيس يتمثل في إخراج المسلمين عن دينهم أو إبقاؤهم بلا دين أو أي هوية لأن هذا يحقق أهداف النصارى المرتبط بمنافعهم ومصالحهم السياسية والاقتصادية وغيرها، لذا فإنهم قد استخدموا ولا يزالون يستخدمون وسائل متباينة كتنفير المسلمين من دينهم وحملهم على كراهيته والتشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، وتشويه التاريخ الإسلامي وكذا حضارة المسلمين.

وسائل التنصير:

● ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى عامة الناس، نادوا بضرورة فصل الدين عن الدولة أو ما يطلق عليه العلمانية، وبتعبير آخر أن يقتصر الدين على الشعائر التعبدية والعلاقة بين الله والإنسان. أما شؤون الحياة الأخرى من سياسة واقتصاد واجتماع فلا علاقة للدين بها. ولما كانت العقيدة الإسلامية تربط كل مجالات الحياة بالإيمان بالله عز وجل وبالتصور العام الذي جاء به الإسلام للخالق سبحانه وتعالى والكون والإنسان، فقد اثروا على الكثيرين وخاصة البعثات من خلال تلقينهم بطريقة غير مباشرة ضرورة فصل الدين عن الدولة.

● اتخذوا من العلم والبحث العلمي وسيلة للتشويش على الدعوة الإسلامية وهم يلفّقون الأباطيل، ويلقون بها في ساحة الشريعة الإسلامية، ويحاولون تضليل شباب المسلمين الذين يتتلمذون عليهم، وإقناعهم بآرائهم الفاسدة الخبيثة؛ ليشركوهم

معهم في الإساءة إلى الإسلام دون وعي. فما يكتب عن رسالة الإسلام ورسول الإسلام يفضح الحقد الدفين الكامن في قلوبهم، وهذا ما اكده المستشرق جولد تسيهر: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني قومه." فهم مصرّون على محاولة تشويه شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والإساءة إليه (صور الدانماركي)، ومحاولة تشويه السنة النبوية في الكتب والمجلات والبحوث، محاربة الإسلام والتشكيك في القرآن الكريم والإيهام بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الرسول كان يتجاوز بعض الوحي القرآني، وينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه إليه.

- الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب والسنّة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الإستشراقية، ويجذبون أبناء المسلمين لمثل هذه الاهتمامات، كما أن من اهتماماتهم والتي تثير الريبة اهتمامهم ببعض الفرق دون غيرها كالرافضة والإسماعيلية، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام.

- محاولة تشويه التاريخ الإسلامي، وهي من أخبث المحاولات وأكثرها دهاء ومكراً فقد صور هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين، أن الفتوحات الإسلامية فتوحات غزو واستعمار، وأن الخلافة الإسلامية خلافة تآمر، وسفك للدماء.

- محاولة زعزعة الإيمان بالغيب عند المسلمين، ولذا جاءت المحاولة تشكك في كل ما لا تدركه الحواس، وتفسر الجزاء عند المصدقين به، بأنه جزاء روحي، والجنة والنار بأنهما شعور نفسي.

●محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية، وبأنه لا يوجد نظام للحياة معروف في الإسلام من خلال اتهامهم للقوانين والنظم الإسلامية بالرجعية وعدم القدرة على مواكبة ركب التحضر والتقدم، وبالمحلية والقصور والإقليمية. وأنها تعتمد على الوحشية أو الهمجية والعنف كالرجم والقطع والجلد. وأنها تتجاهل الأقليات غير الإسلامية.

● حرص المنصرين على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، والتي كان الهدف منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية ومواطنيهم المسلمين، ولعلها عبارة ملطّفة لتكوين جيل ممسوخ لا يعرف ثقافته ولا عقيدته[1]. ولقد اقبل المسلمون على هذه المدارس بكثرة، يلتهمون كل ما احتوته من عقيدة وفكر، لا يميزون صحيحها من فاسدها، ونفعها من ضرها[2]. وهذا ما يعبر عنه بالغزو الثقافي والذي سعى وما زال إلى حد الساعة تحقيق الأغراض التالية:

- الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين المسلمين بقطع الروابط الثقافية وإحياء الثقافات الجاهلية.
- الدعوة إلى العامية، وإلى تطوير اللغة.
- إيهام المسلمين بأنهم متخلفون وأنهم لا يستطيعون اللحاق بالركب الحضاري.
- دفع الجامعات إلى الاعتماد على كتب المستشرقين العلمية.
- تقزيم جهود المفكرين الذين تفطنوا لأخطار التنصير.

[1] علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير مفهومه أهدافه وسائله وسبل مواجهته،ص50.

[2] محمد الغزالي: صيحة تحذير من دعاة التنصير:دار الانتفاضة للنشر والتوزيع،الجزائر، ط1 ،1992، ص115.

– تمجيد القيم الغربية القائمة على الحرية المطلقة وغيرها من الصفات وفي المقابل الدعوة إلى نبذ القيم الإسلامية.

– الاهتمام المبالغ فيه بالتوافه والسطحي على حساب الجوهر والقضايا المصيرية، وهذا بافتعال مشاكل لا أهمية لها.

– إحياء المذاهب الفلسفية والجدلية، والبعد عن الأساليب العلمية والموضوعية.

– الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية وغيرها بلغات غير اللغة العربية، ليظل المسلم عنده إحساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

● الدعوة إلى التحلل والإباحية: من أجل طعن الأمة في أخلاقها وقيمها، وقد شاعت في المجتمعات الإسلامية ما يتعارض مع قيمها وعاداتها بل ما يتعارض مع الفطرة السليمة، انه انحراف الذي لا يعترف بالقيم الفاضلة.

● الخدمات الاجتماعية واستغلالها كطريق يساعد على إمرار ما يراد إمراره، ولذلك أصبحت المخيمات، والمستشفيات، والجمعيات الخيرية، ووكالات الإغاثة، ودور الأيتام، والمسنين، وغيرها مراكز إستراتجية لنشر الأفكار المسمومة وإبعاد المسلم عن الله، خاصة أن الذي يقصد هاته المؤسسات هو الذي دائما بحاجة إلى شيء ما وهذا ما يريده المبشر.

●استغلال الأقليات والطوائف وإثارة النعرات والحركات الوطنية، والتطلعات السياسية..

●الرحلات، وجمعيات الصداقة، والدعوة إلى العالمية، والمجتمعات الكشفية والمساعدات الاقتصادية، وربطها بتسهيلات، وتنازلات معينة[1].

---

[1] عد الى كتاب: أ لو شاتليه:الغارة على العالم الإسلامي،ترجمة مساعد اليافي ومحمد الدين الخطيب، ط2،منشورات العصر الحيث، ،جدة،1387 هـ.

●استغلال أشهر الأغاني المغربية الشعبية التي تغلب عليها المسحة الصوفية وتسمي ب" الصينية" وتحويلها إلي أغنية تنصيرية تدعو للتحول إلي النصرانية، وقد انتشرت علي مواقع تنصيرية علي شبكة الإنترنت، لتصبح باكورة أغان مغربية يتم تحوير كلماتها لتصبح ذات مضمون تنصيري[1].

●أنّ العشرات من الرهبان الإنجيليين غزوا الجزائر، ونهضوا بمخطط تنصير الشباب المسلم وحمل شرائح عدة علي اعتناق الدين النصراني، من خلال توزيع كتب وأناجيل مطبوعة طباعة راقية موجهة للأطفال، وكذا أقراص مضغوطة عن حياة المسيح باللهجة الدارجة السائدة بشمال إفريقيا لتكون أقرب لعامة الناس، فضلاً عن استغلالهم للظروف المعيشية الصعبة التي يعيشها هؤلاء السكان البسطاء[2].

إذن هي وسائل لجا إليها المنصرون من اجل تشكيك المسلم في عقيدته وزعزعة ثقته وأمله في الله عز وجل، فهو ينشط باستمرار وهذا ما هو واضح من خلال الآثار والنتائج الوخيمة على الأمة الإسلامية والجزائر خاصة التي افتعلت ماساتها من اجل ضرب الصحوة الإسلامية وهو ما تم بالفعل فما إن خرجنا من العشرية السوداء حتى أصبحنا نرى ما لم نألف رؤيته ونسمع مما لن نتعود على سماعة وصرنا نتخبط في هذه المشاكل فمن مشاكل اجتماعية إلى ثقافية إلى اقتصادية إلى تربوية ...

والكل يتساءل ما سبب هذه الأزمة؟ إن سببها الأول هو أن الجزائري لم يعد يثق في العالم والمفتي ورجل الدين ومنه لم يعد يثق في الله عز وجل، وأصبح همه

---

[1] محمد سامي، التنصير في المغرب العرب خطير جدا على الرابط التالي:
http://oujdanews.maktoobblog.com/

[2] المرجع نفسه.

الوحيد كيف يتغلب على مشاكله اليومية الدنيوية لا تهم الوسيلة بقدر ما تهم الغاية، وإذا ما أردت أن تتدخل الإجابة الشائعة: كل شخص يحاسب على أفعاله ويوضع في قبره، أو أحييني اليوم وامتني غدا ...

إذن المنصر الآن وجد أرضية خصبة ومهيأة كي يلقي بأفكاره والكل يتلهف لأخذها، وإن المسلمين في مواجهة حرب من المنصرين؛ ورثة الصليبيين، لكن لم يفت الأوان ما هي الحلول التي ستبعدنا عن هذه الأزمة وتعالج الداء الخطير الذي نعيشه.

الحلول:

●نشر العلم الشرعي وعقيدة التوحيد: أول وسيلة ينبغي استعمالها في مواجهة هذا الداء تعَلم الدين واقصد بذلك عقيدة التوحيد وسائر أركان العقيدة الإسلامية، وتعليمها للأولاد الصغار، فإن ذلك من أعظم وسائل الوقاية من داء التنصير، والواجب يفرض علينا تعليمها، لأن هذا العلم هو طريق الإيمان وشرط صحته، ويجب أن نتأكد بأن تغلب عدونا علينا ليس راجعا إلى قوته فهو يشعر في قراره نفسه بالضعف لأنه يعلم انه يحارب الله تعالى ويدرك جيدا أن الله قوي عزيز، إذن إن سبب تغلبه ونجاحه في كل خططه في هذه الأيام هو ضعف إيماننا وضعف علمنا بالله تعالى، وضعف توكلنا عليه والتزامنا بشرعه، ما نتج عنه عدم معرفته ومنه عدم الثقة فيه عز وجل وعدم الاقتناع بقدرته وحكته سبحانه وتعالى، فضروري إذن أن نركز على تعليم العقيدة بكل أركانه ليس من الناحية النظرية لان هذا لن يفيد التلميذ في المدرسة بل ضروري تعليمها وربطها بالحياة اليومية للفرد حتى يشب وهو مدرك بان الله قريب منه وقانع بكل ما رزق به قليل أو كثير، إن إشكالية الفرد المسلم اليوم أنه يولد في أسرة مسلمة فيقول أنا مسلم وأنا مؤمن ولكنه فاقد لكل المعرفة والعلم التي

تجعله يدرك ما معنى الإيمان بالله وبرسوله وبملائكته وكتبه ورسله.إن الأزمة التي نعيشها الأنا المسلمة في الجزائر والمغرب العربي هو إيمانها الوراثي غير مبني على أسس سليمة وعقلية فأي ريح ستهب عليها تؤثر عليها حتى ولو كان نسيما عليلا. وإن مَن تعلم عقيدة الإسلام ووجد حلاوة الإيمان في قلبه يستحيل أن يتركه وأن يبدل غيره به، بل إنه ليكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، ولكن من جهل أمر دينه ومن فهم الإسلام فهما خاطئا مشوها أو مقلوبا هو من يمكن أن يتأثر بكل ما يقال له أو يسمعه.إذن لقد استغل المنصر المشاكل التي تعيشها الجزائر في مختلف المجالات وبدأ ينشر أفكاره المسمومة لأنه يدرك جيدا أن هناك من يأخذ بها.

●تحصين الأبناء: إن الأبناء يولدون صفحة بيضاء والمجتمع يكتب عليها ما يشاء فإن علمهم النصرانية كانوا كذلك، وان علمهم اليهودية كانوا كذلك، وان علمهم التوحيد وعقيدة الإسلام كانوا على هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو القائل: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه) متفق عليه .إن على المسلم أن يملأ اللوحة بما يتماشى وشخصيته وهي الإسلام وأن يملأها بحب الله ورسوله ودينه ولا يترك فراغا يستغله الآخر من اجل أن يملاها بأفكاره المعادية للإسلام.إن المجتمع الجزائري اليوم كغيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى يعيش مغريات دنيوية كثيرة وفساد بمختلف مظاهره وبلا حدود ولهذا وجب على الأولياء أن يربوا أولادهم على العقيدة الإسلامية والالتزام بشعائر الدين.وحينها لا يمكنهم أن يخافوا حتى ولو اطلعوا على كتبهم أو سمعوا أشرطتهم فهم واعون لأنهم كونوا وربو تربية إسلامية يمكنهم أن يردوا على كل فكرة معادية للإسلام حتى ولو كانت مبررة ومدعمة بأدلة —واهية–.

●على الأولياء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم روح الخشوع والتقوى والعبودية وذلك بتفتيح بصائرهم على القدرة المعجزة والملكوت الهائل في كل شيء[1]؛ الإيمان بالله تعالى هو أساس إصلاح الولد وملاك تربيته الخلقية والنفسية وان مسؤولية التربية الإيمانية لدى المربين هي هامة وخطيرة وهي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الإيمان وبدونها فانه يكون عرضة بكل التيارات التنصيرية.

●اختيار المعلمين الذين يعمون تربية الأبناء وهذا من خلال عرض أهم الروايات التي ترسخ فيه عقيدة الإيمان، واختيار الكتب التي تتناول عقيدة التوحيد.

●فهم الإسلام فهما صحيحا لا مبالغا فيه فلا إفراط ولا تفريط، لا تشدد ولا تهاون، متبعين مبدأ الاعتدال والوسطية.

● على العلماء وطلبة العلم أن يواجهوا هذا العدو عليهم حمل الأسلحة الفتاكة، وان يتعرفوا على ما عند أعدائهم من أسلحة يحاربونهم بها.

●التكوين المعرفي الجيد في مختلف التخصصات الدينية والعلمية والإنسانية وخاصة تلك التي تمس العقيدة الإسلامية، والتعود على التحليل المنطقي والاعتماد على الحجج والبراهين وكيفية بنائها وكذا الطرق التي تساعد على دحض حجج الأخر.

●استيعاب الإنتاج الإستشراقي تمهيدا للرد عليه بالدليل والبرهان العلمي من ذوي الاختصاص وكل في مجاله حتى يفكر كل مستشرق ومنصر مليا قبل أن يشرع بمهاجمة الدين الإسلامي.

[1] عبد الله ناصح علوان:تربية الأولاد في الإسلام،الجزء الأول ،دار الشهاب باتنة ،ص157.

● مراجعة الأنا المسلمة لذاتها وتعزيز الثقة بنفسها وانتمائها للدين الإسلامي، حتى تستطيع الوقوف في وجه العدو دون تردد وبقوة وعزيمة.

●التكفل بتعليم العوام مبادئ العقيدة الإسلامية، التعريف بالله وأدلة وجوده وإعادة الثقة فيه عز وجل وهذا من خلال الشرح المستفيض بالدليل ومحاولة إيجاد السبل التي بها نقنع الآخر، وتقديم وقائع حية تجسد قرب الله من عباده ومراقبته لهم في كل ثانية.

●أقناع كل فرد مسلم بعالمية الإسلام وصلاحيته في كل زمان ومكان، وانه دين رحمة وهذا بدحض كل الخزعبلات والخرافات التي قيلت عنه من طرف المستشرقين، ليس بالعاطفة والصراخ والمظاهرات فهذا غير كاف بل بالحجة والدليل والبرهان والتحليل المنطقي، حينها سنعيد الثقة في ديننا الحنيف.وحينها لن يستطيع أي كان أن يستغل الفقر والحاجة ضد المسلم وان يستغل عدم معرفته لأنه في هذه اللحظة يكون قد زود بكل المبادئ والمعارف التي تساعده في فهم نوايا العدو.

●تعلم لغات الأقوام الأخرى وخاصة تلك التي تنشط باستمرار من اجل إخراج المسلم من دينه إلى النصرانية"من تعلم لغة قوم امن شرهم".

استنتاج: على طلبة العقيدة أن ينطلقوا لترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين حتى لا يتزعزعوا أمام كل طارئ، عليهم أن يتحملوا هذه المسؤولية، وهو السؤال الذي دائما اطرحه: ما دوركم يا طلبة العقيدة؟ إن مشاكلنا الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية...والتي شكلت الأرضية المناسبة للتنصير سببها إصابة عقيدته بداء، وهذه مهمتكم فان عالجتم عقيدة المسلم أصلحتم حياته كلها ومنعتم وقوع أزمات ومصائب ومكائد أخرى...